7 مصر وإسرائيل في السودان

لا ينكر عاقل أن إسرائيل لا تملك لمصر وداً مفقوداً، وأنها تتحين كافة الفرص للإضرار بها وإلقاء الأذى بمصالحها والإساءة إليها فى كل مناسبة، بينما يبدو للمراقب أن مصر قد ضربت رقماً قياسياً فى التسامح والتجاوز عما يفسرون التجاوز على أنه ضعف وقلة حيلة. ولكى تعالج الموضوع بشكل مباشر، ودون الوقوف عند الفصول الأخيرة من الموقف الإسرائيلى خصوصاً فى موضوع التهدئة مع الفلسطينيين وفتح المعابر وغيرها، فإننا نشير إلى أن إسرائيل لم تدخر وسعاً فى تطويق مصر جغرافياً وضرب أهدافها سياسياً، ويضيق المقام عن بيان ذلك وضرب الأمثلة له، ولكن يمكن أن أشير إلى أن إسرائيل قد بلغ تعسفها تجاه مصر أن سدت الطريق أمام المرشح المصرى الحكومى السيد وزير الثقافة، وحرضت واشنطن على نسف فرص نجاحه بينما تردد فى أنها هى التى سترشح أحد المصريين لهذا المنصب.

أما السودان أن تكون مصر الرسمية مدركة أن هناك مخططاً أمريكياً إسرائيلياً فرنسياً لتدمير وحدة السودان، والضغط على الرئيس البشير حتى يقبل بذلك، وأن إباء الرجل وصراعه وحده ضد هذا المخطط يحتاج إلى أكثر من مجرد إعلان المساندة، وجميل أن يزور مبعوثان كبيران للرئيس البشير لهذا الغرض، ولكن الأجمل أن تفكر مصر جيداً فى مراجعة شاملة لموقفها من إسرائيل خصوصاً بمرور ٣٠ عاماً على معاهدة السلام خاصة فى السودان. ولا أظن أن مصر الرسمية بحاجة إلى

مقترحات أو إلى إرادة، ولكنها بحاجة إلى تبصر وإلحاح مادامت مصر ملكاً لنا جميعاً، بل إن ما أراه أن السودان وهو الساحة الطبيعية لامتداد الأمن القومى المصرى الذى يمكن أن يؤثر تأثيراً فادحاً على مصر، مما يؤدى إلى انهيار العالم العربى كله تقريباً، وربما يحتاج هذا الشرح إلى بعض التفصيل.

فالظاهر أن المخطط الذى تقف ورائه إسرائيل وواشنطن يعمل فى اتجاه قد لا تدرك مصر الرسمية أبعاده، وقد لا تتصور أنها يجب أن تنظر إلى الموقف فى السودان على أنه صراع بين المصالح المصرية والمؤامرة الإسرائيلية، وأن ساحة المواجهة لا تقتصر على منطقة معينة. ففى السودان ووحدته وسلامة أراضيه أمن مصر السياسى والاجتماعى والمائى، وإذا انقسم السودان كما يراد له إلى أربعة مناطق فإن مصر هى الخاسر الأول، وسوف يكون ذلك سبباً لا قدر الله فى انهيار مصر مما يؤدى إلى انهيار العالم العربى، لأن ضياع مصر ضياع للمنطقة بأسرها، فهل يدرك الرسميون فى مصر مدى تقدم المشروع الإسرائيلى ضد السودان؟ وهل سمع المصريون الرسميون عبد الواحد نور رئيس إحدى منظمات التمرد فى دارفور وهو يقول أنه زار إسرائيل وافتتح له فيها مكتباً، وأنه سوف يسقط النظام فى الخرطوم، وسوف يكون أول قراراته بعد النجاح هو الاعتراف بإسرائيل وأنهى طلب الدعم منها؟.

فى الظروف المماثلة فإن مصر يجب أن تساعد حكومة الخرطوم فى قمع التمرد، وشن حملة إقليمية ودولية ضد المتمردين مساندة لوحدة الدولة السودانية، ويكفى أن مصر الرسمية لا تنكر أنها تخلت عن السودان فى مفاوضات الخرطوم مع الجنوب، ويبدو أن انكماش دورها فى مواجهة إسرائيل قد فرض عليها رؤية ضيقة للغاية للأمن القومى المصرى. صحيح أن مجلس الأمن بدعم فرنسى وأمريكى لن يحل مشكلة البشير مع المحكمة الجنائية إلا إذا سلم البشير بما تطلبه إسرائيل، فلو

أعلن اعترافه الآن بإسرائيل فلن يكون هناك أثر لمشكلة دارفور. وصحيح أيضاً أن المحكمة تعمل وفقاً لبرنامج سياسى ضد السودان، ولكن قراراتها يمكن أن تؤدى إلى اضطراب خطير فى السودان، وإلى مشاحنات بين السودان وبعض الدول الأخرى، فهل تهب مصر بشكل جدى ومدروس لقطع الطريق على المحكمة حتى لا يضطر السودان فراراً من هذا الموقف إلى التنازل عما قد يصعب الرجوع فيه؟.

يجب على مصر أن تدرك الآن أنها لا تستطيع أن تتخلص من مطاردات المشروع الصهيونى، ولا أن تفلت بمعاهدة السلام بمفهومها الخاص للأمن القومى، وسوف يظل المشروع الصهيونى يطارد مصر مهما بذلت له من الحلم والصبر على سوءاته، وأنه لا مفر من مواجهته فى ساحاته الحقيقية وأخطرها الساحة السودانية.